

فلا يمكن إغفال عن أهمية البلاغة لذلك حظيت مركز كبير و عناية من الدارسين ارتأينا إلى قول بأن البلاغة كان لها حظواً كبير من الدراسات اللغوية و النقدية ذلك المجال واسع و متشعب فما هي البلاغة؟ و ما هي أهدافها؟

"إنَّ البلاغة كما هو معلوم - مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهي لب العربية وقد وضعت لخدمة القرآن الكريم وكلام النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، ولخدمة علوم العربية عامة"<sup>1</sup>. نلاحظ دلالة إعجاز القرآن و السنة في جمال العبارات و رونقت الكلام.

**البلاغة لغة:** تعني الوصول والانتها، يقال بلغ فلان مراده إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة إذا انتهى إليها، وبلغ الشيء منتهاه .

**البلاغة اصطلاح:** وتقع البلاغة في الاصطلاح وصفاً للكلام، والمتكلم فقط، ولا توصف الكلمة بالبلاغة، لقصورها عن الوصول بالمتكلم إلى غرضه، ولعدم السماع بذلك"<sup>2</sup>. نرى البلاغة لها منهجية لتحقيق غاية معينة.

حيث نحاول في هذه المقدمة أن نرصد اللحظات الأساسية في البلاغة العربية، التي أثرى بها البلاغة العربية (الجاحظ) و(قدامة) و(ابن سنان) و(عبد القاهر الجرجاني) و(السكاكي) و(ابن البناء).

علوم البلاغة ثلاثة هي: علم البيان وعلم البديع وعلم المعاني، ولكل منها فروع متعددة اختلفت في مراجع البلاغة ومصادرها من باحث لآخر، وستورد الباحثة فيما يلي تعاريف لعلوم البلاغة وفروعها الرئيسية"<sup>3</sup>. نلاحظ أن البلاغة تركز على أسس متينة من حيث البيان و البديع، و المعاني.

1 عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بمصر 1991.

2 أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

3 ينظر في بديع القرآن لابن أبي الأصبع المصري 654هـ.

### البلاغة و اللغة:

"إن العلاقة قائمة بين قواعد اللغة، وقواعد البلاغة، فكلاهما من متطلبات النص الأدبي " . فابن سنان الخفاجي يعتقد أن للصوت قيمة جمالية ...ولهذا السبب فقد قسم الحروف إلى قسمين: قسم يحسن استعماله في الفصيح وقسم لا يحسن استعماله" <sup>1</sup> . وقد اتفق البلاغيون جميعاً على أن للألفاظ قيمة جمالية وإن كانوا قد اختلفوا في مدى هذه القيمة تبعاً لمذاهبهم " . فاللفظيون يوسعون هذه القيم والمعنويون يضيقونها، والقيم اللفظية التي تتناول مظاهر الحسن والقبح كثيرة ولكن غير مصطلح عليها لأنها كثيرة ولأنها ترتبط بالإحساس ... (فالجاحظ) مثلاً قد حث على تخير اللفظ وسهولة المخرج وجودة السبك وإقامة الوزن، وقد جعل ابن (طباطبا العلوي) للفظ قوة فاعلة تجعل المعنى الحسن قبيحاً ويطلب (قدامة بن جعفر) من اللفظ أن يكون سمحاً، سهل المخرج، عليه رونق الفصاحة ويرى (أبو هلال العسكري) أن اللفظ إنما يحسن بسلاسته، وسهولته، ونصاعته، وتميز لفظه وإصابة معناه، وجودة مطالعه، ولين مقاطعه" <sup>2</sup> . وهكذا نلاحظ أن هناك كثيراً من المعايير اللفظية التي يستخدمها البلاغي في الحكم على اللفظ في النص الأدبي.

1 المرجع السابق : ص 337

<sup>2</sup> ينظر في مفتاح العلوم : ص 402

## البلاغة و النحو:

"إن العلاقة قائمة ووطيدة بين علمي البلاغة والنحو، فباحث البلاغة لا بد له من أن يبحث بعلم النحو ليكتمل بحثه، وقد أكد على ذلك عبد القاهر الجرجاني من خلال نظرية النظم عنده، حيث يرى أن قوام الصورة هو النظم، والنظم هو السير على قواعد النحو دون الإخلال بها. وتبرز علاقة البلاغة بالنحو جلية في علم المعاني"<sup>1</sup>. و منطلق نلاحظ أن علاقتهم متكاملة فلا يستغنى بعض عن الآخر.

"فالمشتغلون بعلم المعاني كثيرًا ما كانوا هم المشتغلين بعلم النحو أو كانوا ممن أخذوا عن علماء النحو، حتى إن البلاغيين اليوم كلهم يوظفون معرفتهم بالنحو في مسائل نعدّها نحن اليوم بلاغية محضة كالإسناد والفصل والوصل و الإنشاء والقصر. فمن الإنشاء مثلاً يقول البلاغي إن له نوعين: إنشاء طلبياً و إنشاء غير طلبي، أما الإنشاء الطلبي فيكون بخمسة أشياء هي الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء... وهكذا تتداخل علوم المعاني مع علوم النحو"<sup>2</sup>. من خلال ذلك نرى تداخل المعاني و انسجامها تعطي معنى و تكامل و توافقاً بين البلاغة و النحو.

<sup>1</sup> أنظر في مهدي صالح السمرائي: من تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية: ص 293 - 297

<sup>2</sup> نفس المرجع مهدي صالح السمرائي: تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية: ص 293 - 297

"ونظراً للجهود الكبيرة التي بذلها الجاحظ في إرساء دعائم الدرس البلاغي العربي لا بُدَّ من الإشارة إلى أهمّ تلك الجهود . والتي يمكن تلخيصها بما يأتي :

- 1- جمع ما قيل في البلاغة وحفظها من الضياع
- 2- انتبه إلى ما لدى الأمم الأخرى من بلاغة ونقل بعض الأقوال عنهم .
- 3- ذكر الكثير من المصطلحات البلاغية التي أصبحت مرجعاً للبلاغيين فيما بعد .
- 4- أشار إلى بعض الفنون وذلك بذكر الأمثلة من غير أن يضع لها المصطلحات
- 5- اعتنى بالأساليب البلاغية أكثر من عنايته بالقواعد والتقسيمات
- 6- اهتم بأسلوب القرآن الكريم وما في آياته من تشبيهات ومجازات
- 7- مهد للبلاغيين والنقاد البحث في السرقة والموازنة بين الكلام ومعرفة تطور المعاني
- 8- ربط بين المعنى واللفظ، ومقتضى الحال، وقد أصبحت هذه القاعدة تعريفاً للبلاغة فقالوا ( مطابقة الكلام لمقتضى الحال). معظم روادها من الأدباء والشعراء الذين كانوا في البيئات الغربية وفي المناطق الوسطى في العالم الإسلامي كالعراق ومصر والشام والمنطقة الغربية في شمال إفريقيا من رواد هذه المدرسة الجاحظ ، وابن سنان وعبد القاهر الجرجاني .
- 9- وأهمّ الكتب التي تضمنت آثارها :

(كتاب البديع) لابن المعتز

(كتاب الصناعتين) للعسكري

(سرّ الفصاحة) لابن سنان الخفاجي

(أسرار البلاغة) للجرجاني

(البديع في نقد الشعر) لابن منقذ

(والمثل السائر والجامع الكبير) لابن الأثير

(وتحرير التعبير) لابن أبي الإصبع

<sup>1</sup> أنظر في بديع القرآن لابن أبي الأصبع المصري 654هـ

<sup>2</sup> ينظر الى المصباح في المعاني والبيان والبديع لأبو عبد الله الناظم 686هـ

### أسباب نشأة البحث البلاغي:

"وأسهم اللغويون والنحاة البصريون في الدرس البلاغي ومنهم : الخليل بن أحمد الفراهيدي ت 175هـ وسيبويه ت 180هـ ، وخلف الأحمر ت 180هـ ، ومؤرج السدوسي ت 195هـ ، وقطرب ت 206هـ ، وأبو عبيدة ت 216هـ ، والأصمعي ت 216هـ ، وأبو حاتم السجستاني ت 250هـ ، والمبرد ت 285هـ .

"ومن جهود اللغويين في ذلك كتاب ( مجاز القرآن ) لأبي عبيدة معمر بن المثنى ت 210هـ" لم تكن كلمة ( مجاز ) تعني المصطلح البلاغي المعروف ، وإنما كان يراد بها التفسير أو التأويل. لكن ليس معنى ذلك إنّ كتاب مجاز القرآن لم يكن إلا بياناً لمعاني الآيات فحسب بل تضمن أثناء التفسير بعض المسائل التي تعد من البلاغة. ففي قوله :

( وسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها )

"يتحدث عن المجاز بالمعنى البلاغي المعروف ويشير إلى ما فيه من الحذف ويقول: "فهذا محذوف فيه ضمير مجازه وسل أهل القرية ومن في العير " كما يشير إلى ما أطلق عليه الالتفات وذلك في قوله " ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الغائب ومعناها للشاهد وقال : ( ألم ، ذلك الكتاب ) ، مجازه : ألم هذا القرآن. ومن مجاز ما جاءت مخاطبة الشاهد ثم تركت وحولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب . قال الله : ( حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَبِيئَةٍ ) كما أنّ علماء اللغة والنحو لهم أثر واضح في البلاغة من ذلك : أرى أنّ عبد الله بن المعتز صاحب كتاب ( البديع ) يذكر الخليل بن أحمد ت 175هـ في صدر حديثه عن التجنيس والمطابقة ولعله كان ينقل عن الخليل المعنى اللغوي الأصلي للتجنيس والمطابقة"<sup>1</sup>. من خلال اختلال آراء العلماء البلاغة نلاحظ أنّ تفسيراتهم منطلق الأساس من القرآن و استشهد بالآياته.

<sup>2</sup> ينظر الى المصباح في المعاني والبيان والبديع لأبو عبد الله الناظم 686هـ

"كما أنّ سيّويه ت 180هـ يعرض في كتابه بعض الخصائص الأسلوبية التي عني بها فيما بعد علم المعاني من مثل التقدم والتأخير والتعريف والتكثير والحذف ومن حين إلى آخر نرى إشارات إلى المسائل البيانية في الكتاب .  
ثانياً : المفسرون والأصوليون ( الفقهاء )

للمفسرين والأصوليين إثرهم الكبير في نشأة وتطور البلاغة ويرتبط أثرهم بأثر القرآن الكريم الذي نزل حجة بلاغية كبرى ومعجزة أدبية عظيمة وكان تأثير القرآن واضحاً في اتخاذه مدار الدراسات البلاغية وكانت آياته البيان البلاغي الرفيع .

وكانت إحدى الوسائل في كشف أسرار الإعجاز وتبيان ما في الآيات البيان من روعة وجمال وقد وضع المفسرون لكتبهم مقدمات بلاغية تحدثوا فيها عن البلاغة وفنونها. كذلك كان للفقهاء والمفسرين أثر في تاريخ البلاغة ونشأتها ، فالفقهاء اعتمدوا في استنباط الأحكام الدينية وأصول التشريع الإسلامي على نصوص من الكتاب والسنة ، وهذا بدوره أدى بهم إلى النظر في أساليب القرآن البيانية ، والتأمل في ألفاظه ودلالاتها وفي طرائق التعبير " <sup>1</sup>.

ويتضح لنا من خلال كتابات المفسرين ركزوا على جانب الفني و أهمل جانب المعنوي.

<sup>1</sup> ينظر في كتاب: البيان و التبیین للجاحظ تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (دت): 219/2

### أسس تدريس البلاغة :

هناك مجموعة من الأسس ينبغي مراعاتها عند تدريس البلاغة منها :

- 1- إن البلاغة فطرية في الكلام نلمح صورها في الأحاديث العادية وتحقق الفوائد منها أثارة شوق وانتباه الطالب للأساليب البلاغية وسرعة الوصول إلى ما نريد في يسر وسهولة .
- 2- البلاغة فن أدبي تنمو من خلاله وتكتسب البقاء منه وتمارس التطورات اللغوية في المقام الأول كما أنها علم تطبيقي يتمثل في القواعد والقوانين التي يتم التوصل إليها من خلال الأساليب الأدبية<sup>1</sup>. هنا نتأمل و نرى جهود علماء التي قاموا بها حيث قدموا لنا ثمرة جهودهم و سهلوا لنا في اكتشاف المعاني البلاغية للغة.

### أهداف تدريس البلاغة:

يسعى تدريس البلاغة العربية إلى تحقيق الأهداف الآتية :

- 1- أن يقف الطالب على أوجه إعجاز القرآن الكريم، ويدرك ما فيه من خصائص البيان ويفهم براعة أسلوبه .
- 2- أن يفهم الطالب النصوص الأدبية فهماً سليماً يكشف له عما فيها من روعة الخيال وبراعة التصوير ويدرك سرّ جمالها .
- 3- أن يعرف الطالب الأسس التي تقوم عليها بلاغة الكلام من حيث الوضوح، القوة المناسبة<sup>2</sup>. يتضح لنا من خلال معرفة و فهم النصوص القرآن من البيان و أسلوبه و معجزاته، يمهل لنا الطريق لمعرفة أسباب التقديم و التأخير.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بمصر 1991.

<sup>2</sup> أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.